المحاضرة الثانية

قصيدة إرادة الحياة

أبو القاسم الشابي

ولد الشاعر أبو القاسم الشابي في تونس في الفترة بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، وكان والده من خريجي الأزهر الشريف ومن مُجازيه، لقد درس أبو القاسم الشابي في جامعة الزيتونة بتونس، تفتحت شاعريته مُنذُ نعومة أظافره، كتب العديد من القصائد، ومن هذه القصائد قصيدة (إرادة الحياة) في ديوانه المشهور (أغاني الحياة) تناول في هذه القصيدة حُب الحياة والتفاؤل، فضلاً عن الدعوة الى الحرية والأمل بالمُستقبل الواعد.

إرادة الحياة

إذا الشّعبُ يَوْمَاً أرَادَ الْحَيَـاةَ ... فـلا بـدّ أن يسـتجيب القـدرْ
ولا بُـدَّ لِلَّيْلِ أنْ يَنْجَلِـي ... وَلا بُدَّ للقَيْدِ أَنْ يَـنْكَسِر
وَمَنْ لَمْ يُعَانِقْهُ شَوْقُ الْحَيَـاةِ ... تَبَخَّـرَ في جَوِّهَـا وَانْدَثَـر
فَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ تَشُقْـهُ الْحَيَاةُ ... مِنْ صَفْعَـةِ العَدَم المُنْتَصِر
كَذلِكَ قَالَـتْ لِـيَ الكَائِنَاتُ ... وَحَدّثَنِـي رُوحُـهَا المُسْتَتِر
وَدَمدَمَتِ الرّيحُ بَيْنَ الفِجَاجِ ... وَفَوْقَ الجِبَال وَتَحْتَ الشَّجَر
إذَا مَا طَمَحْـتُ إلـى غَـايَةٍ ... رَكِبْتُ الْمُنَى وَنَسِيتُ الحَذَر
وَلَمْ أَتَجَنَّبْ وُعُـورَ الشِّعَـابِ ... وَلا كُبَّـةَ اللَّهَـبِ المُسْتَعِر
وَمَنْ يتـهيب صُعُودَ الجِبَـالِ ... يَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفَر
فَعَجَّتْ بِقَلْبِي دِمَاءُ الشَّبَـابِ ... وَضَجَّتْ بِصَدْرِي رِيَاحٌ أُخَر

معاني الكلمات:

الدّمدمة: الغَضبَ.

الفِجاج: جمع (فج) وهو الطريق الواضح الواسع.

الشِّعاب: جمع (شُعَب) وهي الطريق في الجبل.

التحليل النقدي للقصيدة:

قصيدة وطنية ذات ابعاد إنسانية كونية يخرج فيها أبو القاسم الشابي عن البعد المحلي و الوطني لينفتح على القيم الانسانية التي تعبر عن الانسان الحر رغم انها كتبت في ظرفية تاريخية خاصة هي زمن الاستعمار الفرنسي للبلاد التونسية إلا ان ما يشغل الشابي في هذا النص هو الانسان عامة و مطلقا بعيدا عن حدود الجنس والعرق و اللون و الدين و اللغة

تكشف القصيدة إيمان الشاعر بقدرة الشعوب على تحطيم القيود ونيل الحرية بما تقدمه من التضحيات، لذا فهي تعبّر عن التفاؤل وحب الحياة، فكلّ ليلٍ لا بُدّ أن ينجلي ويزول بعد أن تُشرق شمس الحرية.

والطبيعة في القصيدة تُشكّل موضوعاً أساسياً فيها، إذ رموزها المُعبّرة عن أفكار الشاعر ومشاعره الوطنية متناثرة على أبيات القصيدة، فنجد (الكائنات) و(حديث روحها المُستتِر) ، (الرياح الغاضبة بين الفجاج وفوق الجبال وتحت الشجر).

نلاحظ البيت الأول :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر

لاحظ قوة الخطاب في هذا البيت الاستهلالي الذي يبدأ به الشاعر قصيدته فهو يستخدم اسلوب الشرط لكي ليربط الاصرار على الحياة والسعي لها بالاستجابة الأكيدة من القدر ، ولعل هذا يذكرنا بأن الله يحب عبده الذي يلح بالدعاء ويسعى بكل طاقته للعمل ، فكيف اذا اجتمعت هذه الارادة في شعب وليس فقط في فرد فان قوة العمل ستظهر جلية لتحرك الأمور لصالح هذه الشعوب التي أرادت حريتها وسعت بكل طاقاتها وقدراتها للعمل ، حينها فقط تحقق الشعوب حريتها ، ولا ننسى أن بلد الشاعر تونس في ذلك الوقت كانت تعاني من الاحتلال وهذا ما دفع شاعرنا لأن يستنهض الهمم بهذا الأبيات .

ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر

ان الشاعر قصد بالليل ، والقيد : الاستعمار وظلمه الذي عانت منه تونس ، ولكن هذا الاستعمار لابد أن يزول ويختفي وينمحي اذا تحققت ارادة الشعوب التي لاتقهر، والتي لا يقف بوجهها شيء.

ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر في جوها واندثر

وهنا يؤكد الشاعر على معاني الارادة وأشكالها ، ومنها أن عشق الانسان لهذه الحياة واصراره على حقه بالحرية في هذه الدنيا ، ولقد قرن الشاعر بين حب الحياة والاصرار عليها بالبقاء في هذه الدنيا ومن لم يكن لديه هذا الشوق للحياة فإما سيتبخر أو يندثر يطمر ويختفي ، وكلا الكلمتين التبخر والاندثار تدلان على الفناء والانتهاء وهذا مصير من يتخلى عن حياته ولم يعطها الاهتمام الحقيقي ليقوم بواجبه نحوها وفيها .

كذلك قالت لي الكائنات وحدثني روحها المستتر

ويؤكد على صدق قوله بأن من خلال الحوارمع الكائنات التي تحيا معه وتراقب سير هذه الحياة ، بل لقد كان الحوار أيضا مع روح هذه الكائنات التي لا يراها أحد ولكن الشاعر وصله حديثها الذي يؤكد ما قاله الشاعر في البيت السابق .

فَوَيْلٌ لِمَنْ لَم تَشُقْهُ الْحَيَاةُ مِنْ صَفْعَةِالعَدَم المُنْتَصِر
ينتقل الشاعر في هذا البيت الى مخاطبة الطبيعة و التحدث عنها وكلامه هو التعبير عن الحقائق الفطرية.

القضايا الفنية والخصائص الاسلوبية في القصيدة:

1. **تقسيم الشاعر القصيدة الى اربعة اقسام هي**
   إرادة الشعب وحرية الأختيار.
   حديث الريح والأرض والطبيعة
   مخاطبة الليل وحديث الغاب والبعث من جديد.
   نشيد الحياة المقدس
2. **التعميم والتفصيل (المقطع الأول معمما, والمقاطع التالية مفصلة).**
3. **اسلوب الحكمة.**
4. **الخيال والانفعال: أسهم الخيال والانفعال في قصيدته بدور مهم إذ عانق الشاعر معاني الأشياء بالحلم والرؤيا والسراب والوهم.**
5. **أسلوب البرهنة والتعليل كقوله (الريح, الأرض, الكون, الأفق, الغاب, ...)• كثرة النعوت.(روحها المستتر. اللهب المستعر .....)**
6. **كثرة الظروف كقوله .(بين الفجاج وفوق الجبال وتحت الشجر)**
7. **التشخيص. يمكننا أن نضعه أيضا كخاصة أسلوبية مثل قوله .(فلا بد أن يستجيب القدر).**